الأوبئة

الأمراض المعدية الجديدة ومتجددة الظهور يمكن أن تخلف تداعيات اقتصادية بعيدة المدى

ديفيد بلوم، ودانيال كاداريت، وجي بي سيفيللا

بالرغم من انحسار الأمراض المعدية ومعدل الوفيات المرتبط بها، فإنها لا تزال تشكل تهديدا كبيرا في جميع أنحاء العالم، فنحن ما زلنا نكافح كل من مسببات الأمراض القديمة، مثل الطاعون الذي أزعج البشرية لآلاف السنين، ومسببات الأمراض الجديدة مثل فيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز) الذي تحور أو انتقل بكثافة من العوائل الحيوانية.

وهناك بعض الأمراض المعدية مثل السل والملاريا التي أصبحت أمراض مزمنة بالنسبة للعديد من المناطق على نحو يشكل أعباء جوهرية ولكنها راسخة، وهناك أمراض أخرى مثل الإنفلونزا التي تتباين في مدى انتشارها وحدتها مخلفة ورائها جحيم في البلدان النامية والمتقدمة على حد السواء وذلك عند اندلاع فاشية المرض (أى الزيادة الكبيرة في مدى الانتشار في منطقة محدودة نسبيا أو مجموعة سكانية محددة نسبيا)، أو تحوله إلى وباء (وهو عبارة عن زيادة كبيرة تغطي منطقة أو مجموعة سكانية أكبر)، أو تحوله إلى وباء متفش (أى وباء يغطي بلدان أو قارات متعددة).

وترسم المخاطر الصحية للفاشية والأوبئة — والخوف والفزع المصاحبان لهما — خريطة المخاطر الاقتصادية المختلفة.

فهناك في البداية، وربما على النحو الأكثر وضوحا، التكاليف المتعلقة بالنظام الصحي، العام والخاص، للعلاج الطبي للحاملين للعدوى وللسيطرة على الفاشية، فاندلاع فاشية كبيرة قد تربك النظام الصحي، وتقوض القدرة على التعامل مع القضايا الصحية التقليدية، وتعقد المشكلة. وبعيدا عن الصدمات التي يتلقاها القطاع الصحي، تجبر الأوبئة كل من المرضى ومن يرعاهم على فقدان وظائفهم أو التقصير في عملهم، وبالتالي إبطاء عجلة الانتاجية وتعطيلها، فالخوف من العدوى قد يفضي إلى التباعد الاجتماعي أو إغلاق المدارس والشركات والكيانات التجارية، والنقل والخدمات العامة؛ وجميعها تعطل الأنشطة الاقتصادية وغيرها من الأنشطة الاجتماعية القيمة.

إن القلق من انتشار مجرد حالة فاشية تحت السيطرة نسبيا قد يؤدي إلى تجارة أقل، فعلى سبيل المثال، استمر الحظر الذي فرضه الاتحاد الأوربي على مصدري اللحوم البريطانيين لمدة ١٠ سنوات عقب اكتشاف فاشية مرض جنون البقر بالمملكة المتحدة على الرغم من انخفاض معدلات انتقاله إلى الإنسان، كما أن معدلات السياحة والسفر إلى المناطق المتأثرة ستنخفض على الأرجح. فالأوبئة المزمنة مثل الإيدز والملاريا تعوق الاستثمار الأجنبي أيضا.

إن المخاطر الاقتصادية للأوبئة ليست تافهة (هينة)، حيث تشير التقديرات الأخيرة ل كل من فيكتوريا فان، ودين جاميسون، ولورانس سامرز إلى أن التكلفة السنوية المتوقعة للإنفلونزا الوبائية حوالي ٥٠٠ مليار دولار أمريكي (٠,٦٪ من الدخل العالمي)، بما فيها كل من تكلفة الدخل المفقود والتكلفة الفعلية لمعدل الوفيات المرتفع. حتى عندما يكون الأثر الصحي للفاشية محدود نسبيا، قد تتعاظم تداعياته الاقتصادية سريعا، فعلى سبيل المثال، شهد معدل نمو إجمالي الناتج المحلي في ليبيريا انخفاضا بنسبة ٨٪ نقطة من ٢٠١٣ إلى ٢٠١٤ إبان فاشية فيروس الإيبولا في غرب إفريقيا، حتى مع انخفاض معدل الوفاة القُطري الكلي خلال نفس الفترة.

إن عواقب الفاشيات والأوبئة غير موزعة على نحو متكافئ عبر الاقتصاد، بل إن هناك بعض القطاعات التي قد تستفيد ماليا منها، في حين أن قطاعات أخرى ستعاني على نحو غير متوازن (متفاوت). فشركات الأدوية التي تنتج اللقاحات، والمضادات الحيوية أو غيرها من المنتجات اللازمة لمجابهة الفاشية تعتبر من المستفيدين المحتملين. أما بالنسبة لشركات التأمين الصحي والتأمين على الحياة ستتحمل على الأرجح تكاليف باهظة — على الأقل على المدى القصير — كما هو الحال بالنسبة لمنتجي المنتجات الحيوانية في حالة اندلاع فاشية مرتبطة بالحيوانات؛ وهكذا ستعاني على الأرجح مجموعات السكان الضعيفة، لا سيما الفقراء، على نحو متفاوت نظرا لاحتمالية عدم توافر

والاقتصاد

سبيل للحصول على الرعاية الصحية، وتوفير مدخرات أقل للحماية من الكوارث المالية.

واعتاد صناع السياسات الاقتصادية على إدارة مختلف أنواع المخاطر، مثل اختلالات التجارة، وتحركات سعر الصرف، وتغيرات سوق أسعار الفائدة، كما أن هناك مخاطر ليست ذات أصول اقتصادية إلى حد كبير، مثل الصراعات المسلحة، والكوارث الطبيعية. ويمكننا أن نفكر بشأن الارتباك الاقتصادي الناتج عن الفاشيات والأوبئة عبر نفس الخطوط. أما فيما يتعلق بأشكال المخاطر الأخرى، فإنه يمكن إدارة المخاطر الاقتصادية للصدمات الصحية عن طريق السياسات التي تقلص من احتمالات وقوعها، والتي تهيئ البلدان للاستجابة لها بسلاسة عند وقوعها.

مجموعة مروعه من التهديدات

هناك العديد من العوامل التي تعقد إدارة مخاطر الأوبئة، فالأمراض يمكن أن تنتقل سريعا داخل البلدان وعبرها مما يشير إلى أن الاستجابات المناسبة زمنيا للفاشيات المبدئية جوهرية. وعلاوة على استفحال الأوبئة بسبب العولمة، ازدادت مقومات الأوبئة بسبب ظاهرتي تغير المناخ والتمدن (التحضر)، حيث إن تغير المناخ يساعد على توسع مواطن مختلف أنواع الحشرات الشائعة الحاملة للأمراض، مثل بعوضة انديز ايجيبتى التي تستطيع نشر حمى الدنك، والشيكونغونيا، وزيكا، والحمى الصفراء. أما التمدن فيعني عيش مزيد من البشر في أحياء متقاربة، مما يزيد من قابلية انتقال الأمراض المعدية، ويجبر نمو العشوائيات في المناطق المتمدنة على نحو سريع مزيد من الناس على العيش في ظروف صحية دون المستوى، وسوء سبل الحصول على مياه نظيفة مما يزيد من تعقد المشكلة.

وربما يكمن التحدى الأكبر في المنظومة الهائلة للأسباب المحتملة للأوبئة، بما فيها مسببات الأمراض المجهولة حاليا، فمنظمة الصحة العالمية أصدرت في شهر كانون الأول/ديسمبر ٢٠١٥ قائمة بالأمراض ذات مقومات الأوبئة حسب الأولوية والتي تتطلب الاهتمام العاجل بالبحوث والتطوير، وقد تم تحديث هذه القائمة مرتين أخرهما في شهر شباط/فبراير ٢٠١٨ (انظر الجدول).

وبعيدا عن هذه القائمة، فالأمراض الوبائية في بعض المناطق حاليا والتي يحتمل انتشارها دون سيطرة مناسبة تمثل نوعا آخرا من التهديدات، مثل السل، والملاريا، وحمى الدنك، والإيدز. وتزداد مسببات الأمراض المقاومة للمضادات الحيوية في الانتشار في جميع أنحاء العالم علاوة على أن انتشار البكتريا المقاومة قد يشكل تهديدا آخرا. فالانتقال السريع لمسببات الأمراض المقاومة لن يحدث على الأرجح بنفس الطريقة التي يحدث فيها مع التهديدات الوبائية، إلا أن انتشار الميكروبات المقاومة للمضادات الحيوية يجعل من العالم مكانا محفوف بالمخاطر على نحو متزايد.

إدارة المخاطر

وبالرغم من تعقد مخاطر الأوبئة، فإن صناع السياسة لديهم الأدوات التي يمكنهم توظيفها لمجابهة ذلك، فبعض هذه الأدوات يعمل على تقليص احتمالات اندلاع الفاشيات، أو الحد من انتشارها، في حين أن البعض الآخر يحاول تخفيف الأثر الصحي للفاشيات التي لا يمكن منعها، أو احتوائها على الفور، ولا تزال الأدوات الأخرى تهدف إلى تقليص الأثر الاقتصادي.

إن الاستثمار في تحسين الصحة العامة، وتوفير المياه النظيفة، وتطوير البنية التحتية الحضرية من شأنها جميعا أن تقلل من تكرار اتصال الإنسان بعوامل مسببات الأمراض، كما أن بناء نظم صحية قوية، وتدعيم التغذية السليمة سيساعد على ضمان توافر مستويات صحية أساسية جيدة، مما يقلص فرص تعرض الناس للعدوى. وبالطبع يصبح تعزيز النظم والخدمات والبنية التحتية الأساسيين أسهل مع النمو الاقتصادي والتنمية، إلا أن وضع السياسات الهادفة إلى حماية الإنفاق في هذه المجالات حتى عندما تكون الموازنات محدودة قد يساعد في حماية الاقتصادات النامية من الصدمات الصحية الكبيرة التي قد تمس رأس المال البشري وتعوق النمو الاقتصادي.

الاستثمار أيضا في المراقبة الفعالة للأمراض في التجمعات السكانية والحيوانية مهم، حيث إنه قد يكون من المفيد في نظم المراقبة الرسمية العالمية وضع حوافز

الرسم التوضيحي: ISTOCK.COM/PHOTO5963

أمراض تحتاج لاهتمام عاجل بالبحث والتطوير – ٢٠١٨

المرض	التوصيف	التدابير الطبية الحيوية المضادة
حمى القرم– الكونغو النزفية	حمى نزفية يسببها فيروس ينتقل عبر حشرات القراد وحيوانات الماشية بمعدل وفيات يصل إلى ٤٠٪، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان	لا يوجد لقاح — يوفر ريبافيرين (المضاد للفيروسات) بعض العلاج
مرض فيروس الإيبولا	حمى نزفية تسببها الحيوانات البرية بمعدل وفيات يصل إلى ٩٠٪، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان.	يوجد لقاح تجريبي
داء فيروس ماربورغ	حمى نزفية يسببها فيروس ينتقل عن طريق خفافيش الثمار، بمعدل وفيات يصل إلى ٨٨٪، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان.	لا يوجد لقاح
حمى لاسا	حمى نزفية يسببها فيروس ينتقل عن طريق ملامسة بول القوارض أو برازها، بمعدل وفيات تصل إلى ١٥٪ في الحالات الحادة، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان.	لا يوجد لقاح تطوير لقاح جديد ممول من «التحالف من أجل ابتكارات الاستعداد للأوبئة؟
فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية	مرض يصيب الجهاز التنفسي يسببه فيروس الكورونا وينتقل عن طريق الجمال والبشر بمعدل وفيات يصل إلى ٣٥٪	لا يوجد لقاح تطوير لقاح جديد ممول من «التحالف من أجل ابتكارات الاستعداد للأوبئة؟
المتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس)	مرض يصيب الجهاز التنفسي يسببه فيروس الكورونا وينتقل من إنسان إلى إنسان ومن الحيوانات (يحتمل الخفافيش) بمعدل وفيات يصل إلى ١٠٪.	لا يوجد لقاح
أمراض فيروسي نيبا وهينيبا	مرض يسببه فيروس ينتقل عن طريق خفافيش الثمار والخنازير والبشر، وتظهر أعراضه في شكل متلازمة تنفسية حادة أو إلتهاب الدماغ، بمعدل وفيات يصل إلى ١٠٠٪.	تطوير لقاح جديد ممول من «التحالف من أجل ابتكارات الاستعداد للأوبئة»
حمى الوادي المتصدع	مرض يسببه فيروس ينتقل عن طريق ملامسة دم أو أعضاء الحيوانات المصابة، أو عن طريق البعوض بمعدل وفيات يصل إلى ٥٠٪ في المرضى الذين يعانون من الحمى النزفية. لم يتم الإبلاغ عن حالات انتقال من إنسان لإنسان.	يوجد لقاح تجريبي غير مرخص
حمى زيكا	تسببه فيروسة مصفرة ينتقل عن طريق البعوض، ويمكن أن يؤدي إلى صغر الرأس عند المواليد لأمهات مصابة بالفيروس، وفي متلازمة غيان–باريه، مع إمكانية الانتقال من إنسان إلى إنسان	لا يوجد لقاح
مرض إكس (مسببات الأمراض الحالية غير المعروف عنها إصابة الإنسان بالأمراض)	لا ينطبق	يمول «التحالف من أجل ابتكارات الاستعداد للأوبئة» تطوير برامج مؤسسية وفنية تسمح للبحث والتطوير السريع استجابة لاندلاع فاشيات مسببات الأمراض التي لا يوجد لها لقاح.

المصادر: موقع منظمة الصحة العالمية على شبكة الإنترنت (صفحات مختلفة)، وموقع CEPI.net.

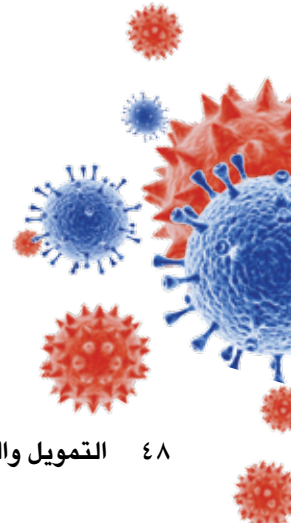

للإبلاغ عن الفاشيات المشتبه فيها، نظرا لخوف البلدان على نحو معقول من آثار مثل هذه التقارير على التجارة وغيرها من النتائج الاقتصادية. فمرض الالتهاب الرئوي الحاد الوبائي (سارس) على سبيل المثال كان يمكن احتوائه على نحو افضل إذا كانت الصين قد قامت بالإفصاح عن حالة التفشي المبدئية مبكرا إلى منظمة الصحة العالمية.

أما نظم المراقبة غير الرسمية، مثل «بروميد» و«هيلث ماب» اللتان تجمعان معلومات من تقارير المراقبة الرسمية، والتقارير الإعلامية، والمناقشات عبر الإنترنت، والملخصات، وملاحظات شهود العيان، فيمكنها أيضا مساعدة النظم الصحية الوطنية والمسعفين الدوليين على اتخاذ خطوات استباقية عن المنحنى الوبائي أثناء المراحل الأولى من الفاشيات. كما توفر وسائل التواصل الاجتماعي فرصا إضافية للاكتشاف المبكر للتحولات في حوادث الأمراض المعدية.

ويوفر التعاون من أجل مراقبة الجاهزية للأوبئة على المستوى الوطني، مثل «أجندة الأمن الصحي العالمي»، و«تحالف التقييم الخارجي المشترك»، معلومات مفيدة يمكن للحكومات الوطنية استخدامها لدعم استجاباتها المخطط لها لمواجهة الفاشيات، كما أنه قد يكون من المفيد إجراء مزيد من البحث في سبل انتشار مسببات الأمراض المحتملة وأثرها الكبير.

وينبغي أن تكون البلدان مستعدة لاتخاذ تدابير مبدئية للحد من انتشار المرض عند اندلاع الفاشية. ومن الناحية

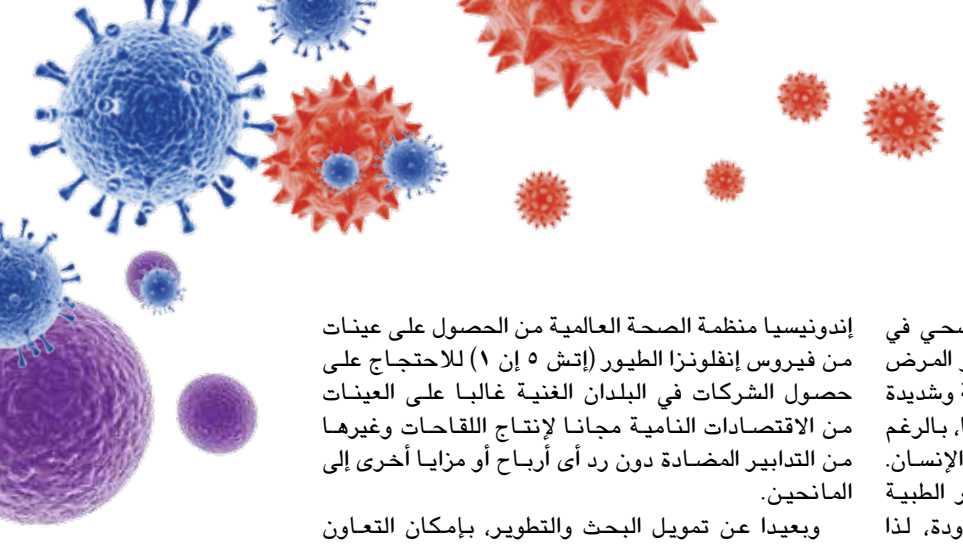

التاريخية، كان يتم وضع السفن في الحجر الصحي في الموانيء أثناء انتشار وباء الطاعون لمنع انتشار المرض إلى المدن الساحلية، أما في حالة الأمراض الخبيثة وشديدة القابلية للانتقال، قد يظل الحجر الصحي ضروريا، بالرغم من المخاوف المحفوفة به فيما يتعلق بحقوق الإنسان. وبالمثل، قد يكون من الضروري تقنين التدابير الطبية الحيوية المضادة عندما تكون المدخلات محدودة، لذا فينبغي على البلدان اتخاذ قرار مسبق بشأن ما إذا كانت ستضع المسعفين الأوائل وغيرهم من الأفراد المهمين كأولوية، أو أنها ستفضل المجموعات الضعيفة، مثل الأطفال وكبار السن؛ فالاستراتيجيات المختلفة قد تكون مناسبة لمختلف الأمراض.

يمكن أيضا أن تساعد الحلول التقنية على تخفيف عبء الفاشيات الكبيرة والأوبئة، كما أن هناك حاجة ملحة لطرق علاج أفضل وأرخص — بما فيها المضادات الحيوية الجديدة، ومضادات الفيروسات لمواجهة الأمراض المقاومة، وربما تكون اللقاحات الجديدة والمطورة أكثر أهمية.

التعاون مطلوب

هناك فشل كبير على مستوى الأسواق عندما يتعلق الأمر باللقاحات مقارنة بمسببات الأمراض ذات الاحتمالات المنخفضة التي على الأرجح قد تسبب الأوبئة بشكل جماعي. ومع انخفاض احتمالية أن تكون هناك حاجة إلى هذا النوع من اللقاحات، وتكاليف البحث والتطوير المرتفعة، والنتائج المتأخرة، تتردد شركات الأدوية في الاستثمار في تطويرها جميعا، فالسعي وراء توليد الأرباح لا يتسق على نحو جيد مع الاهتمامات الاجتماعية الرامية إلى تقليص المخاطر التي تخلفها هذه الأمراض جميعا.

ويمكن للتعاون الدولي بعيد النظر التغلب على هذا النوع من اخفاق السوق — مثل «التحالف من أجل ابتكارات الاستعداد للأوبئة» (Coalition for Epidemic Preparedness Innovations) الذي تدعمه حكومات أستراليا، وبلجيكا، وكندا، والهند، واليابان، وألمانيا، والنرويج فضلا عن الاتحاد الأوربي وغيرها من مختلف جهات التمويل غير الحكومية؛ وتتضمن أهداف التحالف تطوير اللقاحات المرشحة ضد بعض مسببات الأمراض منخفضة الاحتمالية شديدة الخطورة من خلال دليل المفهوم للتمكين من إجراء الاختبارات السريرية ورفع الاستعداد في حالة تفشي مسببات الأمراض هذه، كما يهدف التحالف إلى تمويل تطوير البرامج المؤسسية والفنية لإسراع وتيرة البحث والتطوير لمجابهة حالات التفشي التي لا يتوفر لها لقاحات. وهناك نماذج تمويل مماثلة يمكنها دعم التطوير لإنتاج لقاح شامل للإنفلونزا.

وبالطبع ستكون اللقاحات الجديدة أقل فائدة إذا لم تكفل الحكومات أن السكان المعرضين للخطر لديهم سبيل للحصول عليها، علاوة على أن توافر هذا السبيل من شأنه تحفيز الاقتصادات النامية على المشاركة بفاعلية في عملية بحث وتطوير الأمصال. ففي عام ٢٠٠٧، منعت إندونيسيا منظمة الصحة العالمية من الحصول على عينات من فيروس إنفلونزا الطيور (إتش ٥ إن ١) للاحتجاج على حصول الشركات في البلدان الغنية غالبا على العينات من الاقتصادات النامية مجانا لإنتاج اللقاحات وغيرها من التدابير المضادة دون رد أى أرباح أو مزايا أخرى إلى المانحين.

وبعيدا عن تمويل البحث والتطوير، بإمكان التعاون الدولي تعزيز الاستعداد للأوبئة عن طريق دعم التخزين المركزي للقاحات والأدوية التي يمكن توفيرها عند الحاجة

إن المخاطر الاقتصادية للأوبئة ليست تافهة

الماسة إليها. ولهذا التعاون مزايا واضحة من خلال نظام يقوم فيه كل بلد بتخزين ما لديه من تدابير طبية حيوية مضادة. وبينما تحتاج بعض البلدان على الأرجح لهذه التدابير المضادة أكثر من غيرها، فإن الصالح العام العالمي للعيش دون خوف من الأوبئة يجب أن يحفز على التعاون والمشاركة في التكاليف. وعلاوة على ذلك، فإن البلدان الغنية الأقل عرضة نسبيا لخطر المعاناة من آثارا صحية هائلة من غالبية الأوبئة قد تعاني من خسائر اقتصادية كبيرة على نحو غير متوازن — حتى بسبب الأوبئة البعيدة — نظرا لحجم اقتصاداتها واعتمادها على التجارة الخارجية.

في حالة اندلاع الفاشيات على النحو الذي يفرض عبء صحي جوهري، فإن هناك أدوات للحد من مخاطر الكوارث الاقتصادية، وكما هو الحال بالنسبة للكوارث الطبيعية، قد يساعد التأمين في توزيع العبء الاقتصادي عبر قطاعات الاقتصاد والمناطق، فضلا عن أن وضع الأفراد كأولوية، مثل عمال الرعاية الصحية، وأعضاء الجهات العسكرية، وموظفي السلامة العامة بهدف توزيع التدابير الطبية الحيوية المضادة أثناء حالة التفشي من شأنه المساعدة في حماية الموارد الاقتصادية المهمة.

ولا يمكننا التنبؤ بنوع مسببات الأمراض التي ستحفز الوباء الخطير التالي، أو التنبؤ بمكان نشوء الوباء، أو بمدى حدة العواقب. ولكن طالما كان هناك تعايش بين البشر ومسببات الأمراض المعدية، فإنه من المؤكد اندلاع الفاشيات والأوبئة، وبالتالي تكبد تكاليف باهظة. بيت القصيد هو أنه يمكننا اتخاذ خطوات استباقية لإدارة مخاطر الأوبئة وتخفيف آثارها. فالأعمال المتضافرة الآن على المستويات المحلية والوطنية ومتعددة الأطراف يمكنها أن تمضي قدما نحو حماية رفاهية عيشنا الجماعية في المستقبل. FD

ديفيد بلوم هو أستاذ الاقتصاد والديموغرافيا، **ودانيال كاداريت** يعمل كمساعد بحثي، و**جي بي سيفيللا** يعمل كمساعد بحثي مشارك وجميعهم في كلية الصحة العامة تي إتش تشان بجامعة هارفارد.